خواطر الخيال

وإملاء الوجدان

بقلم

محمد كامل مجاج

لمة من نفحات الأدب الوجداني — الأدب في القرن التاسع عشر — تراجم — تحليل — نقد موسيقي — رسالة في الموسيقى والفلسفة — أبحاث بسيكولوجية — برليوز — عمر (روايتان تمثيليتان) — دراسات متنوعة — ألف ليلة — الخشاب الجوز بيتهوفن — فاجنر

وبه صورة المؤلف الأصلية — الأميرة أزلي هانم — بيتهوفن — فاجنر

حقوق الطبع محفوظة .
سنة ١٩٣٤

BIBLIOTHEQUE EGYPTIENNE
EGYPTIAN LIBRARY

مطبعة الشرق بشارع كلوت بك لصاحبها أ. كي رزق الله

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن منّ على الانسان بفيوضه الربانية ، ونفحاته المباركة العلوية ، حتى سما الى أرفع ذرى الخيال ، وانتج في عالم البلاغة انفع مثال ، وصلاة وسلاماً على من أوتي الحكمة وفصل الخطاب ، ومن فتن بروائع بلاغته العقول والالباب، وبعد فاهدى الى القراء بعض ما جادت به القريحة وجال فيها الخيال من فنون مختلفة وأبحاث متفاوتة وقليل من قطع معربة في التمثيل وغيره عسى أن تصادف قبولا عند الجمهور الكريم ولا أنسى الحفاوة العظيمة التي تقبل بها القراء والفضلاء « بلاغة العرب » ولعمري انها لتدل على كرم حاتمي وتسامح كبير حيال عمل لا يستحق كل هذا الثناء ، واني أقدم لهم واجب الشكر على هذا العطف الكريم وتلك السجايا النادرة وأدعو الله أن يوفقنا جميعاً لخدمة الأمة وان يمكننا من أداء الواجب انه سميع مجيب

الربيع

ذهبت بعد ظهيرة يوم طاب هواؤه ، وصفت سماؤه ، مع رفقة من خير الاصدقاء ، وصفوة الاحباء ، الى القناطر الخيرية لنمتع منا النواظر . ونجلو الخواطر . ونمحو ماخط على جباهنا من غضون . سطرتها الهموم والشجون . بجمال الربيع المتجلى بمظاهره الساحرة . فوق تلك الجنات الناضرة . والمياه اللجينية الجارية . والافياء الظليلة الوارفة

هناك مهد الربيع وايوانه . وبهاء الطبيعة الغض وسلطانه . ومهبط طيف الشعر والخيال . ومظهر الجمال والجلال . ومهب النسيم الاريج . ومنبت الزهر الشذي البهيج

هناك ملتقى الانهار . وقرة الانظار . وقبلة النعيم . وشفاء السقيم . وملاذ المحزون . وسلوان المفتون

خطت هذه الجنان الفيحاء . والغابات الغلباء بذوق سليم إذ توخى فيها تمثيل الطبيعة وحراجها . وروابيها ومروجها . وخمائلها ودروبها ودوحها الشاهق . ونخلها الباسق . فأصبحت يتيمة عقد رياض القطر فلا ترى فيها شكلا هندسياً ولا سطحاً معتدلا . وقد نثرت فوق تلك البسط الزمردية أشجار تفاوتت أحجامها واختلفت ابعادها واتجاهاتها .

يظن الساذج ان تلك الروضات لا نظام لها خالية من الفن والترتيب ولكنها في الحقيقة خاضعة لنظام دقيق فني لا يدركه إلا من أوتي ذوقا رفيعاً ومارس فن النباتات وتخطيط الحدائق زمناً طويلا

سارت بنا مركبة (الترولي) فوق تلك القناطر الفخمة وماء الترع يتدفق من فوق أبواب العيون الموصدة وهو يدوي عند تدهوره كالرعد القاصف . والسيل

العرمرم الجارف . ويدحرج اللجج الهائجة المزبدة حتى وصلنا الى الحديقة الاخيرة في الضفة الثانية من الترعة المنوفية وهي بيت القصيد من تلك الجنان واحدثها عهدا

عرجنا يسرة عند ملتقى النيل بتلك الترعة وصعدنا الى ربوة شائقة سائرين فى ممر نثرت في جانبيه شعب من أصول الاشجار العظيمة وغطى طرف منها بالطين غرست فيه بعض النباتات الفارشة من (بلومباجو) كاس بزهره الازرق الصافي (وجيرانيوم بلتاتوم) وقد ازدان بازهاره من أحمر وأبيض ووردي (وروسيليا جونسيا) وقد استرسلت فريعاتها الشعرية وتدلت عناقيدها المرجانية

جلسنا فوق مقعد بقمة تلك الربوة وعلى كثب منا شجرة (دوتزبا كريناتا) كاسية بعناقيدها البيضاء الناصعة كأنها مجللة بالجليد وقد زرعت حولها دائرة من (البيجونيا) ذات الازهار المستمرة فلمعت أوراقها كالاطلس وغطيت بازهارها الرشيقة الحمراء . وعلى مقربة منا دائرتان احداهما من المنثور والثانية من الخيري وقد تضوع المكان بارجهما الشذى

أشرفنا من هذه الربوة الزمردية على ذلك الفردوس الفخم وقد امتد أمامنا فرشه السندسى ونثر فوقه بديع الزهر ورشيق النور كانه بساط من استبرق نثر عليه اللؤلؤ والياقوت والزبرجد والماس

انتقلنا الى الجهة اليمنى فشاهدنا أشجارها الباسقة من اللبخ (والبوانسيانا ريجيا) وغيرها وقد تسلقت عليها (البوجنفليا) الحمراء (والرينكوسبرموم) الياسميني بازهاره البيضاء التي تحاكي الياسمين في رياه وشكله (والبومونسيا) بازهارها التي تشبه الابواق البيضاء وشذاها المنعش

جللت هذه المتسلقات جذوع تلك الاشجار وكستها ثيابا بديعة وصعدت فروعها الى افنان الدوح لتعانقها وتلثمها وتحتمي بها من غائلة الرياح العنيفة التي تعبث بأغصانها الرفيعة المدنة .

نبتت تحت ظلال خمائل الايك نباتات مختلفة تخشى الشمس والقر والقيظ

مثل كزبرة البئر والسرخس والهليون الريشي (والبروميليا) (والكليقيا) فاصبحت تمثل ركنًا من أركان غابات البرزيل

تخيرنا هناك مكانًا جميلا فيؤه ظليل، ونسيمه عليل، على ضفة بركة ماؤها سلسبيل، وبه مقعدان كبيران تظللهما شجرة من الخلاف المتدلي

لبثنا لحظة سكوتًا نفكر في جمال الربيع وبينا انا مفتون بهذا الحسن الساحر اذ عبثت الصبا بغدائر الخلاف المسترسلة فمسحت وجهي كأنها تداعبني وتلاطفني فالتفت الى الشجرة فرأيت طيف الشعر فناجاني بصوته العذب: «خذ اليراع والقرطاس ومجد الربيع بما أوحيه اليك من فاتن النفحات

— سلام زينة الكائنات، وموقظ الارض من السبات، تحية طيبة يا كاسي العود، بقشيب البرود، ومرصع الاشجار، برشيق الازهار، وشذي النوار، ويانع الثمار

تحرض جميع المخلوقات على الهيام، فتوردها موارد الجوى والآلام، وتطلق ألسنة العنادل، والشحاريز والبلابل، فتصدح بشجي الانغام، معربة عما يخالجها من ضرام الغرام، وتغري الازهار فتنفر من براعمها، وتهرب من سجن اكمامها ناشدة عشاقها، من نحل وفراش تعانقها، وترتشف معسول ثغورها

أي ربيع العيش، ورائد النزق والطيش، ومهلك النفوس والاجسام، ومفسد الالباب والاحلام، يالك من اعمى اصم، وظالم غشوم لا يرحم، لا يردعك عقل ولا خلاق، ولا يروعك ارهاب ولا ارهاق، اغرك عنفوان الشباب، فضللت محجة الصواب، وانغمست في حمأة الملذات، وشرفك ربك فأبيت إلا أن تماثل العجماوات

رباه انك تعلم انني زللت ربيعي بشكيمة العقل وقضيت أيامي كلها بنيل متفاوت المعلومات، واداء الواجبات، مولعًا بمجيد الكماليات، مستبشعًا كل لذة جثمانية، مستمرئًا الملذات الشريفة النفسية، ولكن النفس لم تبلغ مناها، ولم تؤد من واجباتها منتهاها، فعساك اللهم تطيل أيام صبوتي، وتمد في نعيم صحتي، لاتم فروضي وواجباتي، وفي ذلك هناءتي وسعادتي، ومطمح أملي وأمنيتي

الزمن

سلام أيها الخالد الفتى ، سلام أيها العادل القوي ، بوركت ياشيخ الحكماء ، وامام الفلاسفة والعلماء !

أنت محيي الفضل ومخلده ، ومعلي الحق وممجده ، ومزهق الباطل ومبدده ، أنكر فضلك الجهلاء ، ولعنك ظلماً الاغبياء ، وما دروا انك مثقف الاحلام ، ومصحح الاحكام ، لم يفلح أبواي في تأديبي ، ولا استاذني في تهذيبي ، وكنت وحدك لي خير مؤدب ، وأفضل وأعظم مهذب

كنت بالامس أظن الجهلاء فضلاء ، والوزانين شعراء ، والخونة أمناء ، والمنافقين اصدقاء ، والظالمين أبرياء ، والمرائين اتقياء ، فرفعت عن طرفي غشاوته ، وأزلت عن قلبي غفلته ، فتجلت لي الحقيقة بابهى مظاهرها ، وأكمل معانيها

أيها الزمن ! علمتني القناعة فغنيت ، ونعمتني بسعادة النفس فهنأت ، ودرعتني بالصبر فلم أجزع ، وسلحتني باحتمال المكاره فلم أهلع ، ورضي عني الناس فارتاح ضميري ، وانشرح صدري ، فلست مؤملا من دنياي بعد هذا غير رضا الخالق

لم أنس وقفتك أيها الزمن امام المأمون وقد سولت له نفسه أن يهدم أثر الفراعنة الجليل وأنت تضحك منه وتقول له : « ذراعك قصيرة أيها الغر عن أن تنال منه نيلا ، ولا تستطيع جميع الانام ، ان تدمر ماخلدته الايام ! »

ظهرت النوابغ في عصور كان أهلها والانعام سواء فرأى بعضهم ان الانتحار خير وسيلة للتخلص من هذا الخلف المشؤوم ، والخلق المذموم ، وفضل الآخرون اعتزال هاته الانعام والانزواء في بيوتهم ، لتجنب ازدرائهم وسخريتهم

زمجر الشعر في صدر (توماس شاترتون) وهو غلام فأصبح وهو في ربيعه السابع عشر شاعراً مجيداً ولم يؤثر شعره في قومه حتى يكفوه غائلة الجوع وكان

يسخر منه محافظ لندره قائلا له : انك يا بني عائش في عالم الاوهام ، سابح في بحار الخيال والاحلام ، وما هذا الا باطل لا ينفعك ولا ينفع الناس ، واعلم ان الله خلق انكلترا كهيئة سفينة قائمة بمراقبة القارة الاوربية وقد انبعث منها مئات مثلها من السفن تمثل دولتها في مستعمراتها، وقد قام الملك واللوردات بجانب العلم والبوصلة والخيزرانة وأمسكت الامة بحبالها ومدافعها فلا ترى أحداً وسط هذه المعمعة عديم الفائدة ، فانبئني اذاً عما يعمله الشاعر وسط الملاحين

فأجابه (شاترتون) « ان الشاعر ليبحث في النجوم عن طريق السفينة التي تشير اليها أصبع الخالق »

ثم ناوله اللورد ورقة وقال له . « هذه مائة جنيه ففكر في الامر فان هذا المبلغ لا يستهان به »

تناول الورقة ولم يكد يتم قراءتها حتى جن من الغضب والغيظ وهرول الى غرفته التي استأجرها بمسكن (كيتي بيل) صاحبة محل الحلوى الذي دار فيه الحديث بينه وبين المحافظ وبعض رفاقهما فشرب جرعة كبيرة من محلول الافيون فسمع أنينه طبيب فرنسي كان يتردد الى هذا المحل فهرول اليه فوجده في الاحتضار وقال له : « أيها الطبيب ! ! اشتر جثتي بدينى » ثم أسلم الروح وهو في ربيعه الثامن عشر ووجد الطبيب فوق منضدته ورقة كتب فيها « انتى مدين لرب البيت بثلاثة جنيهات مقابل سكناي عن ستة شهور وعسى أن لا يأسف المستر (كيتي بيل) حينما يبلغه ان طفليه كانا يعطياني في بعض الاحيان شيئاً من الحلوى وكان ذاك قوتي الوحيد » وبجانب هذه الورقة التي ناولها له اللورد وانتحر بسببها فاذا فيها : انتى أعرض عليك أن تكون خادمي الاول مقابل مائة جنيه في العام »

لم يجد قوم (جوت) وهو زعيم شعرائهم قولا يطرونه به غير قولهم : « انه كان جميل الخط ولم يخطيء في الاملاء »

ولما مثلت أوبيرا (كارمين) الموسيقى الفرنسى الشهير (بيزيه) صفر له الحاضرون صفير الازدراء والسخرية فاحتم الرجل ومات مكموداً بعد بضعة أيام

ولم ير الموسيقى الشهير (هايدين) مزية فى أبي الموسيقى و اكبر نابغة فيها (بيتهوفن) الا : « انه يحسن التوقيع على الكلافسان »

اعتزل (بيتهوفن) الناس و بلغ به الامر ان شك في نبوغه ولبث خاملا الى ان مات فقيراً حليف الهموم والاشجان

لم يكن للمصور الفرنسى الشهير (جيريكو) بين قومه قدر يذكر إذ لم يعترفوا له إلا بانه « كان يسحق الاصباغ جيداً »

عزى الزمن هؤلاء المنكودين الذين عثر بهم الجد قائلا: «صبراً أيها الكرام فقد عجزت عن هؤلاء الانعام ، وان لم يظهر فضلكم اليوم فغداً يملأ الخافقين ويدوي صداه في المشرقين

اجتاحت الايام ، هؤلاء الطغام ، وخلف من بعدهم خلف كريم ، هذبه الزمن فمجد هؤلاء النوابغ وخلد ذكرهم ، ونشر آثارهم حتى عمت أركان الارض وأصبحت نموذج الكمال ، ومثال الجمال والجلال ، وأضحت رفات هؤلاء النوابغ تقول في رموسها : « بوركت أيها الزمن الحكيم ، والمنصف البار الكريم ! »

الساهرة والشيطان الجميل

بعدا أيها الشيطان الجميل! بعدا أيها الفتان الخائن! بعدا أيها الممثل المائن! بعدا أيتها الافعى التي لان ملمسها وفى أنيابها العطب ! بعدا ايتها الكأس التى يلذ للشارب أولها ويقتله آخرها! بعدا أيها الثمر الملتحف بجلد المهاة ! بعدا يامن يصبغ فؤاده بالرياء والسواد كما يصبغ وجهه بالحمرة والبياض ! بعدا يامن كلامه كالعسل وفعله كالأسل ! بعدا ياخضراء الدمن ونكد الزمن ! بعدا أيها السراب الغرور بعدا ياجرثومة الشرور !

بلوتك ففررت منك فرار الآبق ، حاولت افتناني آونة بجمالك ، وطوراً بسحرك ، وتارة بحولك ، وأخرى بحيلك ، فما طلت منى طائلا ، ولا نلت منى نيلا ، ورجعت بصفقة المغبون ! وكدت تأكل سبابتك من غيظ وجنون

لو كنت صادقا فى حبك، شريفاً في خلالك، لكنت ملكا كريما يبث الهناءة اني سار ، يريح القلوب ، ويزيح الكروب ، وينسي المصائب ، وينشط الانسان على الكدح فى دنياه بهمة لاتعرف الملل ، وقلب ملؤه الآمال

هبطت من مقام الملائكة الى حظائر الانعام بمحض ارادتك مفضلا الملذات البهيمية على الملذات الشريفة النفسية فتمرغت فى حمأة الموبقات ، بعد ما كنت محلقاً فوق ازاهير الجنات

اقتربي منى أيتها الزهرة البديعة فانت عندي خير من هذا الشيطان الجميل انت روحي وريحاني ! يفتنني مرآك ، وتنعشني رياك انت لي فى وحدتي خير انيس وادنى واخلص جليس ! انت نموذج الجمال ! انت مثال اللطف والبهاء !

لاتخشي منى لمسا يذهب بنضارتك او هجراً يقضي على رشاقتك فأنى نعم الوفى الامين والمخلص البار

لست من غلاظ القلوب والاكباد الذين يقطعون عنقك دون رحمة ليزينوا بك صدوراً قبحتها الشرور . وينبتوك بابرهم دون شفقة لئلا تفلتى من العذاب وسرعان ما تموتين فيطرحونك تحت اقدامهم . وماحملوك حباً فيك بل طلباً المزينة ومأربه لا حفاوة

انني احبك وأغار عليك من النسيم فلربما استرق من شذاك وحمله لقوم لايستحقون الا ريح السموم أو ساق اليك من جراثيمه ما يؤذيك فاحميك في مكنون الحجرات واخصك بالزلال البارد ولو لم يكن عندي منه غير ما ينقع الغلة . إنى أقنع بمقعد خشن وأوثرك بثمين البلور المزخرف بصفائح النضار . انى أجلب اصلك من مشارق الارض ومغاربها بثمن غال وأخدمك بنفسي وأخصك باحترامي واجلالي فانت بهجة النفوس ، وريحانة القلوب ، ونعيم الدنيا والآخرة

أنت نعيمي وهناءتي انت عزائي في بلائي انت جليسي فى وحدتي، انت انيسي فى وحشتي، انت سلواني فى همومي واحزاني

فسلام أيتها الزهرة وبركات تترى عليك لتحميك مدى الازمان ، من سوة الانسان

مصرى ريفى

قاسيت من سكني المدينة آلاما ثقالا ، وأعواماً طوالا ، قضيتها بين ضيق صدر وقلق ، ووطأة حر وأرق ، لا يتسرب النوم الى أجفاني وقت الهجير من أناشيد باعة حب العزيز ودفوفهم ، وأغاني بائعي الحلوى المثلجة وأبواقهم ، وصخب الصبيان ولغطهم ، فكنت أهرع في الآصال الى الخلوات أو ضفاف النيل لاستطيع أن أحضر مسألة أو أحرر كلمة

أردت أن أيمم الخلوات وأنخير منها مقاماطيباً ساكناً هنيئاً بين الحقول النضرة والمياه الجارية والظلال الوارفة والهواء الطلق فى بقعة لا أحتاج فيها الى سفر يلجئنى الى ركوب قطار أو انتظاره فعثرت بعد البحث والتنقيب على موطن مبارك بشبرا في أطراف حديقة (شيكولاني) وجدت فيه داراً فيحاء ، تزينها حديقة صغيرة غناء ، تعانقها الحقول من جوانبها الاربع وقد خيم عليها السكون واكتنفتها الدعة ورفرف فوقها نسيم الصبا وصفرت حولها الرياح من زعزع ورخاء ، وشمأل ونكباء

كنت ذات يوم جالساً في طنفي الشمالي أروح نفسي بنفحات النسيم العليل مسرحاً ناظري في مزارع البرسيم الواسعة المزرية ببسط الاستبرق الاخضر وقد انتثرت فيه الانعام السائمة من ضأن ومعز وبقر وإبل تجلببت بمختلف الثياب وبجانب البرسيم حقل زرع برآ أوشك أن يدرك وقد افترشته شمس الاصيل فزادت لونه العسجدي توهجاً وطفق النسيم يداعب سنابله حتى أمسى كأنه خضم زاخر مالت عليه الشمس وقت غروبها فجعلته كذوب النضار

تنهافت السيدات وأبناؤهن وغالبهم من الافرنج على هذه الحقول الفتانة والخلوات الجذابة ليمرحوا ويلعبوا ويغنوا متهللين بذاك النعيم العظيم

قامت على كثب من هذه الحقول المباركة البقية الباقية من حديقة (شيكولاني) وقد ضرب حولها سور من حديد وارتفع وسطها كهف بنى بذوق سليم وعلاه كوخ صنع من سوق النخيل بشكل رشيق يأخذ بمجامع القلوب تزينه شجرة من

(البوجنفيليا) الحمراء وقد احتضنت أعواد الكوخ وكست جوانب الكهف بغدائرها المسترسلة وارتفعت وراء هذا الغار أشجار عظيمة من (الفيكوس) كانت له بمثابة ستار أخضر يحجب ما خلفه ويزيده رونقا وبهاء . وقامت على يمينه نخل باسقات مالت عراجينها بيسرها الاحمر والاصفر كأنها غادات رشيقات مسبلات شعورهن وبآذانهن أقراط من نضار وياقوت

ما أجمل الليل في تلك المواطن وما احيلي بدره إذ يتجلى في تلك الفجاج المترامية بسناه الناصع، ولألائه اللامع، بشكل يذهب بالاشجان يثير الشعر في القرائح الخامدة ،ويؤجج العواطف في القلوب الجامدة

أجلس في المساء في طنني لاروح النفس بنسيم عليل يحمل اليّ عرف أزهار حديقتي فينعشني بأريجه العبق وتشجيني موسيقي الطبيعة إذ يبدأ الكروان بغنائه الشجي بعد الغروب ثم يليه عند اقبال الظلام جوق الجندب بصفيره الرنان . وعلى كثب من ذرانا ساقيتان احداهما خلفنا والاخرى أمامنا تدوران الهزيع الاول من الليل وقد تباين صوتاهما فكانت احداهما تحكي أنين (الفريد دوموسيه) وقد هجرته خليلته، والاخرى تمثل شكوى (الفريددوفيني) وقد خانته خليلته

وعلى رمية سهم من الجهة الغربية تجري الترعة البولاقية وقد نصبت عليها الشواديف وحينما يأتي دور المناوبة ويغمرها الماء يهرع اليها الضفدع ويغني بصوته الغليظ كما يجأر في الاذكار سوقتنا بحلوقهم بشكل ينفر منه الدين قبل النفوس

كثيراً ما أسمع في سكون الليل ألحانا تنبعث حولنا ترددها كواعب غربيات بنغمات توقظ ما سكن من أليم الذكرى وتثير ما كمن من تباريح الهموم فيتبدل سروري نكداً ويغرورق طرفي بعبرات تحجب ما يراه من محاسن الطبيعة التي كشفها البدر فأهرول الى أعماق الحجر هربا من ذاك الصوت الرخيم واستغيث بكتاب قيم ينسيني متاعبي وآلامي ويخمد في صدري ماهاج من عنيف العواطف وتأجج من مضض الذكرى

انني استيقظ في الصيف عادة في الساعة الخامسة فأنزل الى حديقتي لانعش

نفسي بارجها الشذي وامتع طرفي بشروق الشمس وما تفتح من بديع الزهر ، ورشيق النور، وأنشط بفلاحة الارض أعضائي وأعصابي من خمودها الذي عراها من النوم والسكون في حجر مقفلة ثم استأنف عملي فى الاصيل وأروى نباتاتي وأمنحها من العناية ما تتطلبه

أترقب ذكاء عند غروبها لابتهج بمنظرها الشائق وقت المغيب كانها درة متدحرجة فوق بساط من زخرف يكاد توهجه يخطف الابصار وكأن السماء حولها صحفة أصباغ المصور أو كانها حريق صادف وقوداً مختلفاً فاندلعت منه أعلام من نار تباينت ألوانها وكأن السحب وهي تحفها أقواس نصر شامخة نصبت لوداع الشمس وكسيت بألوية من مختلف الديباج وزينت بورود وأزهار متفاوتة الالوان

وترى آلافا مؤلفة من الزرازير والعنادل فوق الايك صادحة للشمس بنشيد الوداع باكية لفراق يسلمها الى سجن الظلام بعد ما كانت تمرح مغردة متنقلة من فنن الى فنن طاعمة من يانع الاثمار وشهي الجنى مرتوية من لذيذ ماء عناقيد الاعناب

أيها العيش الجديد لقد هجت منى ذكرى الطفولة الحلوة وقتما كنت أجوب المزارع والاجران فرحا مرحا كالفراش المتهلل اركب النورج وأصيد الاسماك واستحم فى الترع وانسى الغداء مستعيضا عنه بالذرة المشوية في الحقل

كنت خالي البال عائشا فى ظل أبوي أسكنهما الله فراديس الجنان فياليتني لبثت طفلا الى يومنا هذا وعاش لي أبواي ولم أدر أسرار الحياة وحقيقة الدنيا ونكد العيش وسوء الحظ

تلك سنة الدهر فلنطأطيء له الرؤوس خاضعين صاغرين فلا حيلة معه تنفع ولا حول لنا نجالد به وندافع ، مع خصم لا يقهر وجبار لا يشفق ولا يرحم

فراش وفي

تاقت النفس بعد ظهيرة يوم من الخريف ، رق هواؤه ، وصفت سماؤه ،واعتل نسيمه ، وغرد طيره ، أن تستملي الخيال ، وتناجي الوجدان ، فضن وجمد ،وانطفأ توقده وجمد ، فاستغثتُ بطيف الشعر وهو أعظم رفيق ، وأوفى صديق فناجاني أن لاتطمع مني بنيل مادمت في مكانك فاني أنفر من هذا الهواء المسموم ، واللغط المشؤوم ، وموعدنا الاصيل ، على ضفاف النيل

ذهبت الى روض الجزيرة المشرف على النيل ، وتخيرت مكاناً خالياً بجانب نفق جميل بني بأعواد الاشجار والصخور ، وجللته النباتات المتسلقة ببديع أزهارها ونثرت فوق صخوره نباتات من فصائل مختلفة فكستها ثوباً قشيباً من حسن وبهاء

وجهت وجهي شطر المغرب لامتع ناظري بمرآي الشفق الشائق فانتعشت نفسي من ذاك المنظر الفخم اذ رأيت فوجاً من السحب الماربدة فوق الشمس عند ما اصفرت من ألم الفراق فانعكست أشعتها فوق الغمام وازدان بفاتن الالوان فكأنني ارى قوس قزح وقد عظم حتى ملأ الغرب أو يخيل الي أنني واقف في ظلام الليل فوق أكمة من آكام (نابولي) أشاهد منها بركان (فيزوف) وهو يقذف لهباً تتدلع منه ألسن عديده تلون كل منها بلون خاص وتشكل باشكال مختلفة كون مجموعها شكلا بهيجاً يعلوه دخان كثيف رمادي اللون كأنه عهن منفوش أو أطار جميل بحف صورة في الاتقان آية ، وفي الجمال نهاية

وبينا أشاهد هذا المنظر الشائق اذ رأيت طيف الشعر محلقاً فوق رأسي ثم أسر الى أنني سأفحك بنفحات ترضيك فخذ اليراع وصور ما سأسوقه اليك ثم ودعني وانصرف .

لمحت بعد هنيهة طفلة جميلة كأنها دمية جاد بها بيان (فدياس) تعدو فوق بساط العشب الزمردي وهي تطارد فراشاً جميلا كانه استعار برداً من ذاك الشفق ، أو كانه قطع من وريقات ورود مختلفة الالوان خيط بعضها الى بعض أو صفائح الجمان رصعت بزبرجد وياقوت ومرجان وما لبث أن حط هذا الفراش فوق صدري كانه

يتوسل اليّ أن أنقذه من صائدته الرشيقة فسحت الطفلة ولاطفتها قائلا :

أتبيعيني هذا الفرش المسكين بصورة جميلة تماثلك ولفافة شهية من (الشكولاته)

— انك تخدعني ريثما يفلت صيدي

ثم منحتها الثمن فتهللت وهرولت الى مربيتها وطفقت تفاخرها بثمن صيدها

هدأت روع الفراش وطمأنته وقلت له :

انني أحبك حباً جماً فلا أستطيع مفارقتك فهل ترافقني الى داري لتعرف مكانها علك تزورني من آن لآخر وتتخذني صديقاً وفياً

— ذلك ما كنت أبغيه فانني مدين لك بحياتي .

ثم رجعت الى دراي وصديق محلق في العلا متتبع خطواتي الى أن وافيناها فقلت :

— أهلا بمثال الرشاقة واللطف ، أهلا بآية الجمال والظرف ، مرحبا بصاحب البرد المزركش ، والطيلسان المرقش ، دونك أزهاراً نضرة من ورود ونرجس وسوسن واقحوان ، فاقتعد منها ماتشاء وارتشف ماتشتهي من رحيقها . ثم افتح لي صدرك وخبرني عن سرائك وضرائك

— اننا معشر الفراش خلق فتن بالازهار والرياض لا نأكل إلا رحيقها ولا نشرب غير نداها نأنس بها وتأنس بنا وتحبنا ونحبها وحيثما يرانا الانسان متعانقين يتملكه الحسد وينقض علينا ويسمر جناحينا بابره ثم يحقننا بسموم تكون لنا قاتلة ومحنطة ويحفظنا في رموس من الزجاج ويتخذ من رفاتنا زينة ، ومن عفننا ذخيرة أننا نحسن للانسان وهو لا يدري . ونعمل له الخير دون أن نعلنه اذ لا نريد جزاء ولا شكوراً نحن الذين يبدعون له كل يوم من مختلف الثمار مايلذ له ، ومن شائق الازهار مايفتنه نحن وحدنا الذين تفتح لهم عاشقاتهم الازهار ثغورها لنلقحها من أبناء جنسها فنحدث لهم ألوانا شتى تسر الناظرين ، فياله من قاس ظالم نعامله بالاحسان ويكافئنا بالعدوان

— هون عليك أيها الصديق البار فقد جبل الانسان على الظلم والعدوان وان أردت أن تتقي شروره فاعتزله واهرع الى الغابات العذراء واتخذها لك وحدك جنة تنعم بسكونها وترتشف ثغور زهرها وتتنعش بنسيم صباها وشميم شذاها ، وحبذا لو تفضلت وزرتني من فترة لاخرى حتى أنعش النفس بحديثك الحلو وأمتع الطرف بجمالك المتجدد وتيقن انك تجد عندي في كل الاوقات من بديع الزهر ماتشتهي ان تقتات منه وتنعم به

ليتني أوتيت حريتك وهناءتك ! ليتني وهبت جمالك ورشاقتك ، فانتقل من الزهرات الى الثمرات ، ومن العيون الجاريات ، الى شائق الجنات ، ومن الندي البليل ، الى النسيم العليل ، تتخذ من ثغور الازهار مضجعا ومن وريقاتها المزرية بديع الديباج غطاء ، ومن أوراق الافنان عرشا وسماء

— سنلتقي قريباً فلا تخش فراقا طويلا أيها الصديق الوفي ، والمحسن السخي

— على الطائر الميمون ، تشيعك المهج والعيون ! سلام ياملك الجنات ! سلام يامبدع الثمرات والزهرات ! سلام يارب الرشاقة والجمال ، سلام ياحلو الشمائل والخلال !

الادب مليء الشفاء

يرتاح روحي ويبتهج فؤادي لقراءة سطور الشقاء وآيات البؤس والآلام ارتياح أذني لسماع ألحان الاشجان ، ونغمات التأوهات والاحزان ، ويهدأ ثائري وينعم بالي لرؤية تمثيل الفاجعات والاكدار ، ومطاردة القضاء ومعاندة الاقدار

كنت ذات يوم منفرداً مهموما مكروبا أستعرض جيوش شقائي ، وصور بؤسي وبلائي لا أجد بجانبي فؤاداً رحيما أشكو اليه بثي فيسكن آلامي بكلمة حلوة أو عبرة مترقرقة آنس منها عطفا واشفاقا

كبر علي الزمان أن يرى بجانبي فؤاداً رحيما يتوجع لبلائي ، ويتهلل لسعادتي وهناءتي ، ويؤنسني في وحدتي ، ويسليني في وحشتي ، فاختطف أما حنونا بارة صالحة فذهب بذهابها آخر قلب شفيق وخاتمة العزاء والسلوان والرحمة والحنان

وبينا أنا مطرق الرأس مسترسل العبرات اذ شعرت بيد لطيفة تمسح رأسي المطرق ، وطرفي المغرورق . نظرت الى الطارق فاذا هو طيف الشعر بوجهه المشرق وثغره الباسم يقول : «بجانبك كتاب جديد لم تقرأه بعد وهو خير عزاء، وأجل شفاء»

أسرعت الى الكتاب وطفقت أقرأ صحفه بشوق زائد وارتياح عظيم فاذا هو يسطر تاريخ (ديبورد فالمور) الشاعرة المجيدة الفرنسية مع نخب من قريضها . كانت آية في الجمال ومثالا للرشاقة والرقة تشجي النفوس برخامة صوتها ، وتفتن القلوب ببراعة تمثيلها ،وتسحر الحواس برائق شعرها ، وروائع بلاغتها

لم تؤثر جميع هذه المحاسن الخلابة ، والشمائل الجذابة ، والمواهب العظيمة الفتانة في الدهر حتى يرق لها ويشفق عليها ، بل ناضلها بفاجعاته وشقائه نضالا يشيب لهوله الولدان ، ولم تجد في مشارق الارض ومغاربها راحما يتسللها من وهدة البؤس ويحميها من عدوان الزمان

فكرت طويلا على أفهم أسرار الزمان في مطاردته لاهل الادب وأصمائهم بنبال الشقاء ، والالم والبلاء ، حرت في أمري فهرعت الى طيف الشعر مسائلا :

— أيها الطيف الخالد ! والخيال الجواب ! لم يعادي الزمن أبناءك الاوفياء ، ويسالم الجهلاء الاغبياء ؟

— لولا هذا العداء ، لما اقتعد الاديب هذه الذروة الشماء ، يطعنه الزمن بخنجره فيوقظ حواسه الهاجعة فينبعث منه أنين الشعر الساحر كما يطعن الموسيقار مزهره بريشته فينطلق منه صوته الفتان ، بشجي الانغام والالحان

أفاض الله من نوره على بصره وقلبه ، وسمعه وشمه فرأى جمال الطبيعة وهي

عارية وفهم نظامها وانسجامها ، وسمع أنغام طيرها ورياحها ، وشم عرف شذاها

أرسله ربه هاديا للضالين ، ومعلما للجاهلين ومعزيا للصامين ، وملطفا لشقاء البائسين ، أيحسد الاغنياء الاغبياء على ما أوتوه من حطام الدنيا وما مثلهم إلا كمثل الانعام السائمة في المروج الخضراء لاتدرى من الدنيا إلا أن تملأ كرشها وتتمرغ في روثها

خبر الشعراء انهم اذا شاقهم تراث الدنيا هبطوا من مقام الملائكة الشريف الاعلى ، الى زرب الانعام النجس الادنى ، فينطفئ نور حجاهم ، وتغلظ قلوبهم وأكبادهم ، قل لهم ان لايتركوا الشعر يرعد ويبرق في صدورهم لئلا يقضي عليهم وهم في ريعان شبابهم فتحرم الخلائق من برهم وخيرهم

أنبئهم بأن لايكظموا أنينهم المطرب ولا يخمدوا تأوهاتهم المشجية فانها عزاء لهم ولغيرهم من المنكودين وتسبيح وتمجيد للخالق وان صادفت وقراً في آذان أهل الارض فسيسمعها رب رحيم عادل

الصواقع

كنت ذات ليلة ساهراً بغرفة مطالعتي ثم أقراءة القسم الاخير من كتاب (سان مار) لفخر شعراء فرنسا وحكائها (الفريد دوفيني) وقد وجدتني من شدة التأثر زائد الحرارة ، سريع التنفس ، مستجمع الحواس هائج الاعصاب ، وكأن حروف الكتاب قدتجسمت أمام عيني حتى خيل إليّ أني أراها من وراء منظار ، وكنت لا ألبث ان أبدأ الصحيفة حتى آتي على آخرها بسرعة غريبة دون أن يفوتني شيء من خفي معانيها ، ودقيق مبانيها ، وبعيد مراميها ، وما وصلت لآخر الكتاب حتى زاد اضطرابي ، وغاب صوابي واغرورقت عيناي رحمة

وحنانا لخاتمة فتيين جنى عليهما قلبهما الشريف الرحيم، وذكاؤهما الحاد العظيم

ذهبت كالمحموم الى فراشي وطفقت أستعرض في مخيلتي صور ماتلوته من آيات البؤس وسطور الشقاء وأليم العذاب ماأخر نومي واطال سهادي . ثم أغفيت عند تباشير الفجر وأنقذني النعاس من متاعبي وآلامي فانتقلت الى عالم الاحلام

رأيتني سائراً في واد عظيم لم ار مثله في المقام الدنيوي يشقه نهر كبير تحفه من الجانبين سلسلتان من جبال منحدرة جلتهما رياض غناء ،وغابات غلباء ، أشجارها كاسية من أزهارها البديعة، وبعضها مثقل بثمارها الدانية اليانعة، تصدح فوق ايكها بشجي أنغامها عنادل وشحاجير تجلببت بعفوف الرياش ، وقد انتثرت وسط هذه الجنان قصور شائقة شاهقة بنيت جميعها بذوق سليم ، ونظام عجيب ، وانسجام تام . فكانت لمحة من العين كافية لأن تلم بجميع هذه القصور المبثوثة في سفوح الجبال الخضراء كأنها منظر من مناظر الطبيعة نقشته ريشة (كورو)وعلق فوق حائط اخضر

رأيت النهر كالماس في صفائه واستشف ناظراي قراره فشاهدت فيه شعب المرجان وأصداف اللؤلؤ واسماكا سابحة تبهر الرائي بجمالها والوانها

وبينا أنا مفتون بهذا النعيم إذ شعرت بيد لطيفه مست كتفي من الوراء فالتفت فأذا هو (دوتو) فعانقني وقال : « مرحباً بذي القلب الرحيم الذي رق لبؤسنا وبكى لمصابنا الدنيوي . هيا بنا الى قصر(ماريون دلورم)فلربما نجد عندها أغلب الاخوان والاصدقاء »

صحبته الى قصر تجمعت فيه اسباب السعادة والهناءة وانبعثت منه ملذات تسر النواظر وتشنف الاسماع وتفتن القلوب ، فابتهجت لرؤية (سان مار) وبجانبه خطيبته (لادوشيس دومانتو)تلك الفتاة الفتانة و(كورنيي) و (ملتون)

استقبلني الجميع بترحاب وشوق وشكروا ما آنسوه مني من عطف وحنان ثم أنشأت(ماريون دلورم) تمازح اصدقاءها وتداعبهم برشاقتها المعهودة وجمالها الفتان وحديثها الساحر فاقبلت من وراء (سان مار)وخطيبته ومسحت خديهما الناعمين بيديها المزريتين بأيدي الدمى قائلة : «الآن وقد التأم شملكما ، وكفكفت

عبراتكما ، وزالت آلامكما ، تنعمان بالحب والحرية بعد ما كنتما لا تتمكنان من محادثة بعد شق الانفس فى زوايا مذبح الكنيسة وهي مقفرة دون أن يسبقكما عين (ريشليو) . اراكما الآن تقرآن فى عيونكما آيات الحب العذري (كبول وثرجيني)

ثم انتقلت الى (كورنيي) وقالت له : « قد ارتحت من نكد الدنيا ونسيت نعلك التى كنت تنتظر الاسكاف ريثما يخصفها لك وانت حافى القدمين وزالت غضون وجهك وصرت تشنف أسماعنا وتهتن نفوسنا بشعر أبلغ وأرق من شعرك الدنيوي »

ثم جلست الى (ميلتون) وقالت له : «الآن وقد نسيت ازدراء خلاني وعدم اهتمامهم بك حينما كنت تقرأ لهم قصائدك فى الشيطان ببهو منزلي بباريس، وكيف الجأك الدهر لان تكون كاتم أسرار لعات جبار الحم فاك، وكيف رسفت في اغلال العمي والشيخوخة بعد أن عضك الفقر بنابه فأصبحت الآن ولا هم لك الا ان تختال في برد شبابك القشيب وتتنقل فى الرياض تنقل الفراش المفتون يبديع الازهار وجميل النوار »

رجعت (ماريون دولورم) الى كرسيها واقترحت على (دوتو) أن يقوم فى الجمع خطيباً ويحدثهم عن الصداقة وقالت له: «إنك صرفت شبابك فى دراسة علم الاجتماع والفلسفة والقوانين وكنت أنت و (سان مار) المثال الوحيد في الدنيا للصداقة والوفاء فلبى الامر وانشأ يقول :

« لم يخلق الله في الدنيا نعمة أجل من الصداقة إذ هي حب مقدس أنزله الله على قلبين طاهرين شريفين متماثلين في الصفات والاخلاق فأصبحا وقد استنار فؤادهما بنور الله يقرأ كل منهما ضمير الآخر ويفهم ما يرتسم على جبينه وعينيه من صور السرور أو الهموم فلا يلبث أن تنعكس هذه الصورة في نفسه ويشعر بعين شعور صديقه فيتوجع لبلائه ويتهلل لهنائه

لا صداقة بين صغير وأمير ولا بين شريرين فما الاولى إلا تملق وما الثانية إلا اشتراك في الجرم

شاهدت فى حياتي الاولى أن بعض الناس يتخذون الصداقة التمثيلية وسيلة لنيل مآربهم وقضاء أغراضهم وما هؤلاء الا مداهنون منافقون

كان يكفيني من الصديق عاطفة حنان وحب ولكنى ما كنت لاعثر عليها عند أغلب هؤلاء الاصدقاء. بلوتهم فما وجدت فيهم غير مخلص وفي واحد اعتمدت عليه وشاطرته هنائي وشقائي الى أن حز رأسينا ذاك الطاغية الجبار وأراحنا من آلام الدنيا وفاجعاتها ،،

صفق له الجميع تصفيق الاعجاب قائلين : ،، لافض فوك أيها الحكيم ،،

وافتنى (ماريون دولورم) باسمة الثغر ، بادية البشر ، وجلست الى جانبى تلاطفني قائلة : ،، أما يهدأ بالك وترقأ عبرتك مما رأيته من نعيم مقيم ، وفرح عميم فأولى لك بعد ماشاهدته أن لا تتأثر مما تقرأه من سطور شقائنا وصور بؤسنا وآلامنا فقد أنستناهذه السعادة الدائمة جميع ماضينا التعس المنكود

وبينا أنا منتعش بهذا الحلم اللذيذ إذ دوى في أذني صوت مزعج كأنه استغاثة مكروب أو صراخ ملهوف: ،، خبازي ياورق العنب ،، فانتبهت من سباتي وأسفت لمبارحة هذا النعيم المقيم ، والملك الفخم العظيم

جمال الازهار

تباركت مبدع الكائنات ، وبارىء المخلوقات ، ومجمل الغبراء ، بالجنات الغناء ، والغابات الغلباء ، ومرصع النبات بشائق الازهار ، وفاتن النور . لقد تجلت قدرتك ، وظهرت عظمتك ، فى الزهرة مثال الجمال ، ونموذج الحسن والجلال ، وآية البهاء واللطف ، ومنبع الرشاقة والظرف . كيف لا وقد سقاها الندى بطله المنعش ، وحملت اليها الصبا عبيرها الاريج ، وأرسلت اليها الشمس من أشعتها العسجدية الوانا شتى تسر الناظرين

انها لنعيم الدنيا والآخرة عند أولى الالباب وفتنة الشعراء ، اذ هي مبددة

أحزانهم ، ومسرية أشجانهم ، وطاردة وحشتهم ، ومفرجة كروبهم ، ومفرحة قلوبهم وأعظم ذكرى لجليل صنع الخالق

لعا الله فظاً غليظ القلب عبث بهذا الجمال ، ولم يشفق على تلك الرقة وذاك اللطف فقطع أعناق الزهر وشد عليه بيد جافية قاسية ، ودس أنفه فيه ليشمه فهشمه وأحرقه بانفاسه المتأججة بنار الشره ثم يطرحه في مواطيء النعال حينما يسلم روحه الى الصبا وجماله الى الشمس ونضارته الى الندى

مجد الاقدمون الزهر حتى قال اليونان ان بعضاً من العظماء في الميتولوجيا استحال الى أزهار اذ رووا أن النرجس كان شابا رشيقا غض الشباب وهب جمالا ساحراً ، وحسناً نادراً ، يدعي (نارسيس) فافتتن به الارباب الاقدمون والحور. وفي ذات يوم امتد فوق العشب ليشرب من ماء عين رائقة ساكنة فابصر نفسه على صفحات الماء فحاول أن يتملك شخصه الآخر المرتسم على الماء فلم يستطع فطفق يتخبط من الغيظ حتى مات واستحال الى نرجسة

كما انهم أطلقوا اسم كثير من سسان الحور على بعض النباتات الجميلة مثل (اماريليس) و (نيرين) وكانتا من حاشية (ديان) ربة الصيد واشتهرتا بحسنهما الفتان

* * *

رحت ذات يوم الى داري بعد انقضاء أعمالي وكان يوماً عصيباً التهب فيه الجو فأصبح كتنور اكلبه السجر واسعده الوقود ، وفرت الصبا من بطش الهاجرة وأرسلت الغزالة سهاماً محترقة صائبة فرأيت أزهار حديقتي وقد مالت أعناقها ، وانقبضت وريقات توجها ، وكاد يكمد زهرها ، الوانها تستغيث وهي صامتة بعبرات استعارتها من قطر الندى واختلطت برحيقها المعسول ثم علقت باهداب الازهار كلمها اقراط من ماس متدلية من أذن تزري بالورود ، فهرولت اليها واقتطفتها بسوق طويلة ووضعتها في أنية بلورية ملئت زلالا بارداً . نسيت غذائي وجلست

متلهفاً بجانبها الى أن انتعشت وعادت اليها نضارتها وزهاؤها وتصوبت أعناقها فناجيتها بهذا النجاء :

لبيك أيتها المخلوقات الرقيقة ، سعديك أيتها الاجسام الرشيقة ، لقد رجعت اليك من أقصى المدينة مسرعاً لانقذك من شر القيظ ، انني أغار على جمالك الفتان فلا المسك ولا أقرب أنفاسي المحرقة من جسمك اللطيف ، بل أقنع باطالة النظر اليك والاعجاب بمحاسنك الخلابة وأرضى بما ترسلينه الى من شذاك مع نفحات الصبا لامد في حياتك ويطول نعيمي وهناءتي وعسى أن يقتدي بي قومي ويرأفوا بهذا البهاء واللطف ، فان الزهر لحري بالعناية والحنان ، والرحمة والرضوان

الامل

الفت النفس منذ طفولتها ان تخلد الى الدعة والسكون وتنفر من جلبة الجماعات وتستشيع هرج الناس ومرجهم فى مواسمهم وأعيادهم وما فتئت تصبو الى العزلة مؤثرة ان تسامر كتابا قيما أو تناجي زهرة جميلة حتى أصبحت تعد الدار جنتها الفيحاء ونعيمها المقيم

ياما احيلي ليلا ينقذني من نصب الاعمال وقيظ النهار الوهن القوى والمشتت للخيال . ما اشهى ليلا سعيداً يسلمني الى الراحة وينعشني بنسيم عليل يحمل شميم الازهار ويقربني من طيف الشعر ويسكرني بنشوة الاماني والآمال وينسيني آلاماً تتجدد ،وشقاء ينتاب ويتردد

أهرع في الليل الى طنف اكتنفته الصبا وامتدت أمامه الرياض والحقول وسكن اليه القمر فما برح يمر فوقه وينيره

لاحظت بين النجوم كوكبا دريا ما انفك يطلع فوق رأسي وهو اكبر مما حوله وأشد لمعانا فصبت نفسي اليه وحسبته نجمها المسير وطالعها الذي يكتم في صدره أسراراً يتطلع اليها روحي ولا يدرى ان كانت خيراً أم شراً

أقضي هزيعا من الليل وأنا شاخص الى نجمي المحبوب وهو يبسم لي فى تلالئه وينظر الي نظرات فاترات ملؤها العطف والحنان ويرسل الي من السماء تحية مباركة تكاد تنسيني الوجود وتغرقني في بحار الآمال وتقتادني الى لذيذ الاحلام

قرأت في بسماته الفتانة انه يناجيني :

— انني أكلأك بعين عنايتي وابشرك بمستقبل باسم ينيلك آمالك ويسكن آلامك وينسيك مصائبك التي لولاها لم تعرف لذة العيش ولا هناءة النعيم

استمر كوكبي العزيز يؤرجحني بنجائه الفتان والنسيم يسكرني بعبيره الاريج حتى تخدرت أعصابي فأغفيت

فارقت هذه النشوة وهذا النعيم الذي أعده فخماً ويراه غيري حقيراً وانتقلت الى عالم الاحلام فتمثلت لي مسارح شقائي وصنوف اتراحي وعنائي فتبدل فرحي كربا ونعيمي بؤساً وبلغت الروح التراقى فقيض الله لي بعوضة لسعتني فاستيقظت وأنا خافق القلب زائد الحرارة اتصبب عرقاً

وجهت طرفي الى نجمي وقد خالجني الشك وساورني الارتياب قائلا : أيها البدر الزاهر ! يامن هو مثال الحسن الساحر ! حاشاك أن تغر منكودا اضناه زمانه وخذله قومه وأخوانه فلم يجد راحما في الغبراء أو مسليا في الضراء !

أجلك وأنت في عالمك العلوي الطاهر ان تخدع ذلك الكائن الواهي فيسترسل في أمانيه . ويغتر باضغاث أحلامه وسخيف أوهامه

أنبئني بمصيري أيها النجم الخالد فلست ممن يضيع عندهم السر أو يأسفون على حياة تعسة محوطة بضروب البلاء

ارح فؤادي من شك يكاد ينهشه وقلق أليم يساوره ويضايقه وان كنت تعلم أنه قد حم القضاء وجف القلم فلا تغيير ولا تبديل فمن على بضجعة لايقظة بعدها تريح جسما واهيا ، وتغيث قلبا داميا

أيها البدر

هاجت الرياح وثارت السافيات مقلة سحباً مكفهرة من العجاج حجبت الشمس فاغبر وجه الارض ، واستتر جمال الطبيعة ونورها ، وغطت زمجرة الرياح على الحان العنادل والشحاريز ، وهدير الحمام ، وغناء القمرى ، وحفيف الاشجار داعبتها الصبا ، واستكنت الاوانس والاطفال في مغانيها ، وانكمشت الانعام في حظائرها ، وافقرت الرياض والخلوات ، ولبس الجو ثوب حداد قاتم

اعتكفت في داري ولم أتمتع بنصف هذا اليوم الذي أستريح فيه من عناء الاعمال ، وطفقت أرقب هذا الجو الاغبر من وراء زجاج الكوى وهو يعبث بازهار حديقتي ويلوثها بادرانه فساورني الضيق والسأم كالسجين المحزون

ما لبثت السماء ان جادت بغيث هتان بدد الغبار ، وغسل الاشجار وارجع الى الازهار نضارتها وزهاءها فابتسم وجه الارض ، وصفا الجو ، وعاد الطير الى غنائه متنقلا على الغصون المياده

خرجت من سجن الحجر قبيل العشاء وكان الهواء ساكناً هادئاً كليالي الربيع ، فجلست في طنفي وقد أشرق البدر بسناه الناصع المتلألىء كأنه درة وهاجة فوق بساط من ابريسم لازوردي

كشف البدر ماستره الغبار ، وأظهر جمال الطبيعة وبهاء الزهر الذي نشر عبيره الشذى فانعشني بسرور وبشر لايوصفان ، ورمى عليّ أشعته الوضاءة فكساني بطيلسان فضيّ

فتنني القمر بجماله الساحر وخدر حواسي المضطربة من الحبس والضيق وخيل اليّ أن ضوءه الذى جللني يد حسناء فتانة تشفي جريحاً ببسمات تخجل وميض البروق وتمسحه بيدها الملطفة المسكنة

لم أجد جليسا يؤنسني خيراً من البدر فأطلت النظر اليه وناجيته بهذا النجاء :

— أيها البدر المختال بشبابه الغض وفتوته المتجددة ! ليت شعري كيف يتمادى الجاحدون في طغيانهم وينكرون آيتك البينة ! امهلتهم من شهر الى شهر حتى كرت الحقب وهم في غيهم يعمهون

ايها القمر الجائل ! يقولون ان الكواكب هي التي تسير العالم وتتصرف فيه ، فسلط زحل على من يجأرون بجحود ران على قلوبهم ليخرس السنتهم ويسلب عقولهم ويتركهم يتخبطون في البؤس والشقا.

ايها البدر ! سلط سحبك المعتمة لتكون حائلا بينك وبين من انعم الله عليهم فكفروا بانعمه وانكروه

ايها القمر ! حرض كواكبك لتسقط عليهم شهبا ثاقبة تطهر منهم الارض لئلا تنتشر عدواهم الى الصالحين

أيها البدر ! اصبح هؤلاء الزنادقة كالجيف تنبعث منها الروائح المنتنة فتسمم الهواء والما ، فارسل اليهم ريحا صرصراً عاتية تحملهم الى أعماق الدأماء فلا تذر منهم باقية

أيها البدر ! اشهدك يوم الدين انني برىء من هؤلاء الشياطين ، ولو أستطعت أن أجازيهم بما تمنيت لهم لما احجمت ، فأكتفي بصب اللعنات على رؤوسهم المقوتة الى ان يبطش بهم الجبار ، ويساقوا الى النار ، وبئس المثوى والقرار .

النور

سلام أيها المثل الاعلى ، تحية طيبة يامن هو زين الكائنات ، أدامك الله للنفوس بهجة وللقلوب ملذة ، وللعيون مسرة

سلام واجلال ، لمثال البهاء والجمال ، سلام يافخر الكمال ، وعنوان العظمة والجلال

أنت مسير الاكوان ، أنت ميزان الزمان ، أنت المطلب الاسمى للانسان ، أنت أعظم أمنية للنبات والحيوان ، أنت مفرج الكروب ومبدد الاحزان

تهابك الاشرار، ويفتك الفجار ، وتنفر منك السباع العاتية ، والهوام المؤذية كثيراً ما تساورني الاحزان ، وتطاردني بجيوشها الاشجان ، فتبعد النوم عن الاجفان ، ويتجافى جنبي عن الوساد ، وأقضي ليلي حليف ألم وسهاد ، أنشد مفرجا لكربي ، ومنجياً من ألمي ووصبي ،

ما أطول الليل على مالم ينم ! اذ تعرض على في ظلمات الليل الاليل مناظر الهموم المروعة ، ومسارح الآلام الفاجعة ، فاظن أن ليلي أطول من دهر ، ولا ينفك اليأس يصارع مني الصبر ، حتى يصيح الديك بنشيده الفخم ، وهو سلوان المكروب ، وعزاء المغلوب ، والمبشر باقتراب الصباح ، وانتهاء نضال الاتراح

مر هزيع آخر من الليل ولما المح تباشير السحر ، فعاودني اليأس وقلت لعن الله الكذب وما أشنعه اذ تسربت جراثيم دائه الى الطير وأصبح بعض الديكة يؤذن قبل الفجر

سمعت بعد هدء من الليل مؤذناً رخيم الصوت ينادي حي على الفلاح فقلت أفلح من صدق ولا فض فوك ولا زال يردد في الليل البهيم صدى ألحانه التي تخفف عن القلوب أثقالها ، وتسكن أوصابها وآلامها ، وحمداً لله على قرب انتهاء العذاب وترنمت بقول القائل

اشتدى أزمة تنفرجي قد آذن ليلك بالبلج

وما لبث أن بزغ الصباح وأنقذني من عذابي المستمر فهرولت الى الكوة ورفعت عنها الاستار وفتحتها وناديت نداء المتهلل الظافر: سلام يا مفرج الكروب سلام يامفرح القلوب ، سلام أيها المخلص من الآلام الثقال ، سلام ياروح الجمال ، سلام ياسر الجلال ، سلام أيها النور ، الف تحية طيبة مخضلة ببليل ندالك ، معطرة بعرف أزهارك ، تحملها الآرام الرشيقة السارحة ، وتبلغكها العنادل الصادحة

انك تتجلى فوق الاشياء فتظهر جمالها الخفي وقبحها المستور المزيف وتبين خائنة الاعين وما تخفي الصدور ، فبارك الله فيك أيها النور ! وخلدك مدى الازمان والدهور !

أنت الذي تمنح النبات خضرته الزاهية ، والازهار ألوانها البديعة المونقة وتطلق الطير والحيوان من سجن الليل فتنطلق وقت تبلجك من أوكارها وحظائرها متهللة صادحة باغمة : بوركت أيها النور البار

تسل صارم سطوتك في وجوه الاشرار ، فلا يظهرون وقت تجليك ، وتسدد نظراتك الرائعة في وجوه الفجار ، فيركنون الى الفرار ، خشية الفضيحة والعار

تتجنبك السباع واثقة من انك ترشد اليها كل قناص وصياد ، وتحذر الايائل والمهامن وثبات الضواري وتمنحها حدة في أبصارها ، تكفيها غائلتها وشرورها وتخاف بطشك الهوام والجراثيم فتستكن في جحورها ، وتنكمش في بؤرها

أنت الذي تنفذ الى العقول حينما تستغيث بك لحل المعميات فتفيض عليها من النفحات العلوية ، والفيوض الربانية ، ما يحل عويصها ، ويظهر مكنوناتها ،

أنت الذي تتجلى على الفكر فتتفحه بوائع الخيال ، وساحر الشعر ، وبليغ القول ، وجليل الحكم ، فتنطلق الالسنة قائلة : سلام أيها النور ، سلام يامسير الاكوان ، سلام يامبزان الزمان

الظلام

تبت يداك أيها الكافر الباغي ! ثكلتك أمك أيها الظالم الطاغي ! توالت عليك اللعنات ! وصبت فوق رأسك المحن والآفات !

تنقض على الابرار بدياجيرك المروعة وآلامك ومصائبك الفاجعة ، فتعمي منهم الابصار وتسد عليهم المسالك ليكفوك شدة المطاردة ويقفوا بين يديك حيارى أذلاء كسخال وديعة ترتعد أمام ذئب ضار ثم انقض عليها يبقر بطن هذه ويشق ظهر تلك

فمثلك كمثل الصائد الظالم يحرض بازيه على ظبية الكناس فيفقأ عينيها دون رحمة ولو كان له قلب لما استطاع أن يثبت أمام ماتسدده اليه من نبال عينيها

الدعجاوين أو يسلم من سحر جفونها الوطفاء فتتخبط المسكينة تخبط من مسه الشيطان وعيناها غارقتان في دمائها تنشدانه دون جدوى نوراً يهديها الى كناسها ويريها جمال آرامها

ترمي شباكك السوداء على العالم وهو مطمئن فتخرجه من نهر الهناءة ، الى لظى العذاب والشقاء ، ترسل أعوانك الاشرار ، الى الطيبين الابرار ، فيسلبونهم نعيمهم ، ويحرمونهم هناءتهم ويعكرون صفوهم

ماعهدت أعوانك الا كالخفافيش والبوم ينامون النهار ويقومون الليل فترشدهم لاختلاس الاموال وقطع الطرق وازهاق النفوس وهتك الاعراض

تسلط علينا الشرور كحجر القى وسط خميلة أوت اليها الافاعي فهاجها من منامها وخرجت غضابا فاغرات أفواهها تنهش كل من تصادفه

اخترت لك الاشرار والفجار حاشية ، والسباع الضارية جنداً ، والهوام المؤذية تبعاً ، والجرائم الفتاكة خولا ، فتهدم ما بناه النور ، وتفسد ما يصلحه

قاتلك الله أيها الانسان ما أظلمك ! لو آنس منك ربك انصافاً لما أوجد الظلام . عرف منك الجشع والعتو فارسل اليك الظلام لتسكن فيه وتعطي لبدنك وعقلك نصيباً من الراحة يؤهلهما لمواصلة العمل ومداومة التفكير

تسدل أيها الظلام وشاحك الاسود على الطبيعة الجميلة المشرقة الحية الناطقة فتستر جمالها وتطفىء أنوارها ، وتقف حركتها ، وتلجم أفواهها ، وتقطع الحانها وتهيج أشجانها وتثير آلامها

حنانك اللهم ورحماك ! فقد صبرنا على جميع فاجعات الظلام وتسلط على أموالنا وأرواحنا وأعراضنا وآمالنا فلا تدعه يتسرب الى عقولنا التي بقيت لنا من حطام الدنيا فنصبح كالانعام أو أضل سبيلا ، وان سبقت به مشيئتك فامتنا ولا تترك هذا الكافر يشوه خلقك الكريم ، يانعم المولى ونعم الرحيم